سينما

أيكون «الغريب» مُقيماً أم قادماً من حربٍ؟

لوحات سينمائية تكشف متاهة فردٍ ومصائبه

أول فيلم للسوري الشابّ أمير فخر الدين يعكس جماليات سينمائية باهرة، تشي بأنّ المُعَالج درامياً يؤسّس لسيرة مهنية محترفة ومؤثّرة

نديم جرجوره

فيلمٌ أوّل يقول بامتلاك مخرجه الشابّ ثقلاً سينمائياً ومعرفياً. «الغريب» (2021)، للسوري أمير فخر الدين (1991)، يُحيل على مراجع سينمائية باهرة، يستعين بها في نسج حكايةٍ عن الأسى والاختناق والذاكرة والحرب والاحتلال، وهذا الأخير غير متمثّل بالإسرائيلي فقط (مرتفعات الجولان المحتلّ)، بل بسطوة الذكوريّ والأبويّ والدينيّ أيضاً. فصل الشتاء قارس، ولغة الصورة تجعل المناخ يتسلّل إلى مسام جسد وروح، فيخترق المُشاهِدُ كلّ حاجزٍ لبلوغ عمق نصٍّ سينمائيّ، مشغول بدقّة حائكٍ وصبره وهدوئه. كلّ الغليان، النفسيّ والروحيّ في ذات عدنان (أشرف برهوم) تحديداً، مصبوبٌ في قالبٍ بشريّ يتفنّن برهوم، بما لديه من حِرفية وبراعة وجماليات أداء، في إخراجه (الغليان) من أعماق عدنان، بعنفٍ مبطّن، يعكسه وجهٌ وعينان ويدان وجسد وحركة ونبرة ونظرات، وهذا كلّه نتاج تفاعل واضح بين رغبات مخرج وحِرفية ممثل. لكنّ الحِرفيّة غير باقية في إطارٍ مهنيّ بحت، لتمكّن برهوم من إضفاء ما يملكه من حساسية ورؤية وانفعال على المهنيّ، جاعلاً الشخصية كائناً حيّاً، يحمل أثقال بيئةٍ وأناس، كحمله آلاماً وتمزّقات.

الصُّور، الملتقطة في طبيعةٍ غارقةٍ في ضباب رماديّ اللون غالباً، وفي أزقّة قليلة ومنازلَ أقلّ، تُعين «الغريب» في عيشٍ غير سهل أبداً. منذ اللحظات الأولى، يوضح أمير فخر الدين مفاصل أساسية في سيرة عدنان، بتبيانه العلاقة التصادميّة بينه وبين والده (محمد بكري)، والعلاقة المرتبكة بينه وبين زوجته ليلى (أمل مرقس)، التي تُنجب منه ابنة (قمر حليحل). اللاحق تفعيلٌ لاضطرابات يعيشها الطبيب، الذي لن يُمارس مهنته، فالروح مُتعَبةٌ، والجسد مُنهكٌ، والنفس موجوعة. السرد، المائل أحياناً إلى صمتٍ ولقطات/مشاهد، يُعرّي أشياء كثيرة في تلك العلاقات والنفوس، وفي بيئةٍ جغرافية/دينية، يسمع ناسُها أصوات حربٍ دائرةٍ في بلد مجاور لهم (سورية).

لكنْ، من سيكون الغريب فعلياً؟ عدنان، أم ذاك الجندي الشاب الجريح، المتسلّل إلى البلدة هرباً من جحيمٍ يُطارده، ورغبةً في العثور على بقعة أرضٍ، فيها منزل أهلٍ غائبين؟ عدنان يعثر على الشاب، ويُقرّر إنقاذه. هذا تمرّد أوّل، ووحيد، لطبيبٍ منفصلٍ عن واقعٍ وأناس، لشعور عميق وحادّ باغترابٍ، يُغذّيه خوفٌ أو نقمة أو خيبة، أو ربما وعيٌ مُسبق بخرابٍ لا نجاة منه. لن تكون معرفة أسباب حالتهُ الراهنة مهمّة، فحالته راهنةٌ أقوى، وأداء أشرف برهوم، الذي يظهر في المشاهد/اللقطات كلّها تقريباً، كفيلٌ بصُنع لوحةٍ سينمائية، يكون فيها نواة حبكة ومسار وانفعال وتفاصيل، كمن يُدير عالماً متكاملاً من الأوهام والأسئلة والمخاوف والاضطرابات، والرغبات المقموعة.

> طبيعة غارقة في الضباب ونفوس ممزقة ومتألمة وتائهة

لوحةٌ، تدفع إلى التمنّي بأنْ تكون بداية تأسيس لجديدٍ لاحق، يُثير انتباهاً وتأمّلاً ونقاشاً، بدلاً من أنْ تبقى مجرّد خطوة أولى، لا أكثر. لوحة تمتلئ بمفردات/سمات تُحيل على مراجع سينمائية باهرة، كاليوناني ثيو أنغلوبولس، والروسي أندريه تاركوفسكي، والهنغاري بيلا تارّ.

وجود جندي سوري شاب، هارب من حرب ولاجئ إلى بلدة محتلّة، يُثير شكوكاً ومخاوف في أناس، بعضهم وجهاء يُديرون البلدة، ويُنظّمون عيش أهلها، ويُحافظون على تقاليدها. وجودٌ ينتهي بموتٍ، فيُقرّر عدنان دفنه، والجماعة غير معارضة كلّياً. كأنّ دفن غريب خلاصٌ لرجلٍ غريب، مقهور ومتألّم وتائه، رغم أنّ رسالته (يُقرأها بصوته في مونولوغ طويل وغير مُبرَّر درامياً كثيراً) مليئة بخرابٍ ومتاهاتٍ وأحزان، تُحوِّل الخاتمة إلى ما يُشبه الميلودراما البكائيّة المُسطّحة، رغم التصوير الباهر (نيكْلاس لانْدْشَاو) للطبيعة والضباب، المتلائمين مع نَفْسٍ محطّمة، وروح ممزّقة، وبحثٍ غير منتهٍ عن تساؤلات تزداد حدّة وتعذيباً. ميلودراما غير نافعة وغير ضرورية، بعد سياقاتٍ درامية وجمالية موغلة في أحشاء أناسٍ وأعماق مرويّات، صورةً وتمثيلاً وتوليفاً (أمير فخر الدين) وتصميم ديكور (بشّار حسّونة) وموسيقى (رامي نخلة).

هذا كلّه في «الغريب»، المُشارك في مسابقة الأفلام الطويلة، في الدورة الـ12 (4 ـ 9 مايو/أيار 2022) لـ«مهرجان مالمو للسينما العربية (السويد)»، الذي تُتيح مشاهدته أكثر من مدخلٍ إلى تفاصيله ومزاجه ومسارات شخصياته وبيئاتها. «فيلم مشاعر»، يقول أمير فخر الدين («رمّان الثقافية»، 8 نوفمبر/تشرين الثاني 2021). مشاعر له ولأفرادٍ يعرفهم. يُشبه «كولاج مشاعريّ»، وفيه أسئلة تبدأ من شعور امرئ بأنّه مختلف، و«يُنظَر إليه كغريب». هذا منطلقٌ إلى سرديات انفعالية عن أحوالٍ ومشاغل، تتوزّع حول عدنان، وتدفعه إلى مغامرة العيش في هاويةٍ، يُدرك أنّه غير خارجٍ منها. بأدائه الباهر، يمنح أشرف برهوم لعدنان كلّ حاجياته وانشقاقاته ورعبه وانكساره وألمه، كي يجعل من سيرته حكاية قهرٍ ودمار وغياب. «الغريب» أول جزء من ثلاثية، يرغب أمير فخر الدين في تحقيقها: «هذا الفيلم عن غريب بين أهله وناسه. الفيلم المقبل سيكون عن غريبٍ بين غرباء». يُضيف: «إنّ الثاني عن شخصٍ غير قادرٍ على العودة من المنفى/المهجر، بينما عدنانٌ باقٍ في مكانه». ثالث الثلاثية عن امرأة، سيختتم بها فخر الدين مشروعه هذا، معتبراً أنّ المرأة «أملٌ وقدرةٌ على التحمّل والشجاعة».

عدنان (أشرف برهوم) في «الغريب»: متاهة ألم وخراب وتمزّقات (الملف الصحافي)

«صانع الملك» لبيون سونغ هيون

أحداث تاريخية مرويّة في سيناريو متين

عبد الكريم قادري

انتصر الكوري الجنوبي بيون سونغ هيون، في جديده «صانع الملك» (2022)، للوثيقة التاريخية، مُعلياً من شأنها، عبر رحلة مُفترضة إلى الماضي، بتركيزه على فترة مهمة من تاريخ كوريا الجنوبية، انطلاقاً من صراعاتٍ سياسية على الحكم، ومؤامرات يقوم بها النظام الحاكم للاحتفاظ بالسلطة، مستعملاً أجهزته الأمنية والمال، وإمكانيات الدولة لإطالة حكمه. في المقابل، أظهر المطبّات السياسية الكثيرة، الموضوعة أمام المعارضة لإبقائها على هامش السلطة، ومحاصرتها بمشاكل وصعوبات، حتى لا تقوى على منافسة رجال الرئيس وحاشيته. لكنْ، هناك دائماً من يملك إرادة حديدية للخروج من الدائرة المغلقة، كحالة المعارض السياسي، المنتمي إلى الحزب الديمقراطي، كيم وون بوم (سو كيونغ غو)، الذي بدأ من الصفر، بعد فوزه على الجمهوريّ كيم بينغ، في مقاطعة «موكبو»، رغم أنّ الأخير من رجال الرئيس، الذي زار مقاطعته، وساعده في تنشيط حملته الانتخابية. وهذا جعله يخطو خطوته الأولى في المجلس الوطني.

احتاج بيون سونغ هيون إلى مُسبّب تاريخي، يتحجّج به أمام المُشاهِد، فينقل عبره تلك الأحداث المهمّة في كوريا الجنوبية، لتثبيت نظامها الديمقراطي الذي تعيشه اليوم. تضحيات كثيرة ومؤلمة، دفع ثمنها نزهاء كثيرون، ومنهم كيم وون بوم، الذي شكّل حجر عثرة أمام النظام الجمهوري المستعبد. والمُسبّب رجل الظلّ المشهور سو تشانغ داي (لي سون كيون)، المنضمّ إلى مكتب حملة انتخابه، والذي استطاع إقناعه بألاعيبه وطرقه الملتوية في كسب الأصوات، عبر صنع مقالب، وسّعت شريحة الناخبين والمؤيدين وفهم عميق، بردّه عليه سريعاً مع قول لأفلاطون، معلّم أرسطو: «لتنصر قضيةٌ عادلة، كُلّ وسيلة مقبولة». اقتنع كيم وون بوم جزئياً بطريقة عمله وأساليبه. لهذا، بدأ العمل معه، ونجح في محطّات عدّة، وفاز في انتخابات المجلس الوطني، بفضل هذا الرجل وألاعيبه السياسية، وفطنته الكبيرة، وبديهيّته في المواقف الصعبة، وحسن قراءته المشهد السياسي. استطاع بيون سونغ هيون صوغ هذه الأحداث التاريخية المتشعّبة في سيناريو مُحكم البناء (شارك في كتابته مع كيم مين سو)، مُتجاوزاً المدة الزمنية التي حدّدها في السياق السردي (أكثر من ساعتين)، من دون السقوط في الملل، الذي تتركه عادة أفلامٌ طويلة نسبياً. يعود هذا أولاً إلى كثرة الأحداث والتفاصيل، وهالة صنع البطل، وإنْ يُجرَّد البطل هنا من المعطيات الكلاسيكية، التي تجعله يستعمل عناصر مشروعة في فعل الخير. لكنْ، في حالة سو تشانغ، فإنّه يستعمل معطيات ملتوية لبلوغ الخير. لذا، تختلف سياقات السردية، وعبرها تختلف ظروف التلقّي، وطريقة التعاطي مع الموضوع.

نجح المخرج في المحافظة على إيقاع المدّة الزمنية، وتحكّم في الفصول كلّها، وجعلها تسير في مستوى جمالي واحد وقوي، وأشبع كلّ فصلٍ منها بما تحتاج إليه من إثارة وتشويق، لربطها مع الخطّ العام، الذي يُسيّر الحدث الرئيسي، وبالتالي حافظ على انتباه المُشاهِد، الذي سيستوعب معظم القيم التاريخية الموظّفة في الفيلم، لأنّه وضعها في إطار جمالي مناسب.

سيو كيونغ غو: سياسيّ محنّك من أجل الخير (دومينيك شاريو/Getty)

> مُسبّب تاريخي ينقل سينمائياً أحداثاً تاريخية كورية جنوبية

له. قبل أنْ يُنظّم سو حملة كيم، رفض الأخير طريقة عمله، عبر رسالةٍ وجّهها إليه، رسم فيها خطّته ورؤيته. عندما التقيا، حاول كيم أنْ يشرح له مبادئه السياسية النزيهة، قائلاً إنّ التغيير يجب أن يحصل سلميّاً، انطلاقاً من مبادئ الفرد ونزاهته، ومُستشهداً بقولٍ لأرسطو، «العدل يشكّل نظام المجتمع»، في تقديمه وجهة نظره السياسية، وطريقته النزيهة في مجابهة الأوضاع والمعطيات السلبية. لكنْ، لسو تشانغ داي حجّة قوية،

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

أفلام جديدة

■ The Adam Project لشوان ليفي، تمثيل كاترين كينر (الصورة) ومارك روفالو وراين رينولدز: فيلمٌ ينتمي إلى الخيال العلمي، فأحداثه تجري عام 2050، عندما سيكون الانتقال في الزمن والتجوّل بين المجرّات والكواكب سهلاً. لكنّ أمراً مفاجئاً سيقلب كلّ شيء، ويضع الجميع أمام تحدّياتٍ كثيرة، ما يدفعهم إلى مغامرات مشوّقة لعلّها تُنجّيهم من مصائر مميتة. هناك مسائل متعلّقة بالذاكرة أيضاً، وبالعلاقات الإنسانية بين البشر.

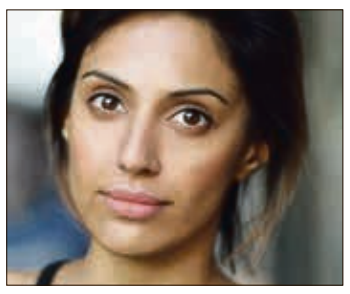

■ Red Notice لراوسن مارشال ثوربر، تمثيل دواين جونسن وغال غادوت وريتو آريا (الصورة): مغامرة تعود إلى تاريخ قديم، عندما أهدى مارك أنطونيو حبيبته كليوباترا 3 بيضات مُرصّعة بالجواهر «هدية زفاف منتظر». ستمرّ أيامٌ طويلة، قبل اكتشاف أنّ البيضات الـ3 مفقودة. لاحقاً، يُصبح الزمن عام 1907، مع العثور على بيضتين فقط. عام 2021، أثناء تحقيقات فيدرالية مختلفة، تنفتح الحكاية على ماضيها، وتحدث مسائل غير متوقّعة، وتنكشف أسرارٌ.

■ Goodbye لوليام نيكلسن، تمثيل آنيت بيننغ (الصورة) وجوش أوكونور وبِلْ نيغي: منذ 29 عاماً، تزوّج إدوارد وغرايس. في لحظةٍ غير متوقّعة، وبعد شجار بينهما، يُخبر إدوارد ابنه جايمي برغبته في الانفصال عن غرايس، لأنّه بات مُغرماً بامرأة أخرى، التقاها قبل وقتٍ في مناسبة عامّة. البنية الدرامية كلّها معقودةٌ على مسألة واحدة: كيف تعامل كلّ واحدٍ من هؤلاء الـ3 مع المسألة، وكيف عاش صدمة الخبر.

■ Invasion لمايكل بيرس، تمثيل رضا أحمد وجانينا غافنْكر (الصورة) وأوكتافيا سبنسر: بعد أعوام على تقاعده من الجيش، يجد الجنديّ ماليك خان نفسه مُضطراً للهروب مع ولديه، جاي وبوبي، بسبب غزو كائنات فضائية لكوكب الأرض. لكنّ المسألة الأساسية ستكون في مكانٍ آخر. ففي رحلة الهروب تلك، المليئة بالمخاطر والتحدّيات، يواجه الشقيقان حقائق قاسية تنكشف تدريجياً أمامهما، ويجدان نفسيهما مُضطرّين للتخلّي عن طفولتهما.

■ Borderlands لإيلي روث، تمثيل كايت بلانشيت (الصورة) وكيفن هارت وجيمي لي كورتيس: في زمنٍ بعيدٍ، في المستقبل، يُقرّر 4 أفرادٍ القيام بمغامرةٍ، فيها شيءٌ من الخطر وكثيرٌ من التشويق. يتّفق رولاند وليليث ومردخاي وبرك على السفر إلى كوكب باندورا، بحثاً عن سفينةٍ أسطورية، يُقال إنّها تحتوي على كنزٍ وفيرٍ.